

## درس في سيرته عليه السلام

للإشادة بسيرة الأفتكاني

— — — — —

في حياة خالد بن الوليد الخافضة بالبطولة والرجولة ، درس للسفير والكبير ؛ غير أن ما يحيط بهضة العرب اليوم من تناحر على الفناء ، والمركة لما تنته بعد ، يحتم أن نعرض لعبرتين في سيرة الفاتح العظيم ، فهما درس بليغ ، ينتفع به من في قلبه حبة خردل من إخلاص . وكذلك التاريخ أيها القارئ يسعفك كلما كلب الزمان وحرب العدو ، ولن تعدم منه أبداً سراجاً يضيء حاضرك ويصرك بالسبل وينجح لك المساعي ، ويريك بم كان تقدم المتقدمين وفوز الفائزين ، وبم كان التأخر والذلة والخسران

\*\*\*

أما الأولى من العبرتين ، فهي أن خالداً من أبطال قريش وصناديدهم ، بل هو البطل فجمع لا يمدله غيره . أظفر الله المسلمين بالمركين يوم بدر ، فكان عليهم عار الأبد ، وأصبحوا بهزيمتهم سبة بين العرب ؛ فما قر لهم قرار ، حتى تألبت جمعهم في أحد ، متعطشة إلى النار ، ثم تقع الواقعة فينهزمون أيضاً . ويريد ربك أن يصاب المسلمون بعد نصرهم ، لتكون لهم الهزيمة بعد الظفر درس الأبد ، فلا يخالفون رئيساً بعدها أبداً . ثم لا يفتن إلى خلو الجبل من الرماة إلا خالد اليقظ ، فيحيط بالمسلمين - وهم لاهون بالفناء - من خلفهم ، وينتمش المشركون حينئذ ، وتكون المصيبة في المسلمين بالغة ؛ فكانت هزيمتهم ، وكانت الفرحة الكبرى لقريش أن ثاروا لقتلهم يوم بدر ، ورفعوا عن أنفسهم العار ، وكان أن ذهب بفخر هذا اليوم كله خالد .

هذا القائد الباسل الذي طارت شهرته في أهل الشرك والتوحيد على السواء ، وقع في قلبه أن الإسلام حق ، فرى بالقيادة والشهرة جانباً ، ووطن نفسه على الأذى يناله من قريش ، الذين سيحتقون أشد الحرق ، وقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبله مسلماً في المسلمين ، وقد سأله في طريقه عمرو بن العاص : « إلى أين يا أبا سليمان ؟ » فقال : « والله قد استقام اليأس ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ؛ فحتى متى !؟ »

ألا يجد رؤساء الناس وزعماءهم في هذه عبرة ودرساً ، ألا يدعون نصرة أهوائهم وإرضاء نفوسهم ، ليقبلوا على أمر تبين رشده فيتمونه ؟ إن الناس لينظرون إليهم ، وإن الله لسائلهم عن الوطن والدين يتجرون بهما ، وعن العامة يلعبون بمقولهم ، وقد أعطوا الله موثقاً : ليكون مع الحق حيث كان ، وليقوم بنصرته وحده لا نصرة نفوسهم وزعامتهم . جمعهم وطن واحد فراموه أجزاء وأشلاء ، واستعدوا الأجنبي المتربص بهم ليحفظ عليهم رياستهم الواهية ، فنال هذا فريسته بسلاحها ، وكانت هذه الأثرة الدنيئة أفتك بالبلد من كل غارة . ثم انتظم أمورهم دين واحد فأبوه إلا شيئاً وفرقاً وطرفاً ، فبادر الأجنبي يعلن حمايته لكل فرقة على حدة ويعترف باستقلالها عن أختها ، ويبالغ في تشجيعه على التفرق ، وفي تفكيكه عرى الطائفة الواحدة حتى عم البلاء وطم . وما نحن أولاء نرى في قطر عربي صغير كسورية ، نبأ حافلاً بأسماء طوائف لو وذعت على أهل الأرض ما نجت من شر فتنتها بقعة ، وفي كل يوم فرقة جديدة وحماية سريعة (١)

إن خالد بن الوليد طوح بالقيادة والفخر والظفر والمجد وأقبل على النبي واحداً من المسلمين ، ونحن لا نكلف هؤلاء السادة طرح شيء فستبقى عليهم زعاماتهم ، وسيرجمون أعز ما كانوا إن جندوا أنفسهم في خدمة الحق والخير

(١) لم يكن يوم الاحتلال الفرنسي للشام من الطوائف غير المسلمين والمسيحيين واليهود ، فما زالوا ينشون من الفروق الضئيلة وينفخون فيها حتى صار المسلمون بفضلهم طرائق قديداً ، فهم اليوم سنية وشيعة وهلوية وجعفرية وإسماعيلية و... وجعلوا لكل منياً وقاصياً ومحاكمة ونواباً وعدداً من الوظائف ... وحق مدوا أيديهم إلى مايسى بالطرق فربطوها بشخص المفوض السامي بقرارات صدرت بما يشبه السر ، وما راع الناس إلا عام في محاكمة منذ ظهور يستند إلى قرار المفوض السامي بقوله في دعوي للأوقاف الاسلامية على شيخ مولوية : « إن الطائفة المولوية لا علاقة لها بالأوقاف الاسلامية ولا بالمسلمين وإن ... » فرفنا ما حيك لنا بعد أن أطلق الفخ علينا . ومنذ عهد قريب صدر قرار للمفوض الفرنسي زعم أنه ينظم الأحوال الشخصية ، فلم يبق حرمة للشريعة الاسلامية إلا أباح انتهاكها ولا صاحب نزوة أو إلاحية أو إلحاد إلا شجعه ليجهر بتروته وينعو إليها ويفصل بها طائفة محترمة معتزلاً بها بحجة الجيش الاحتلال . وفي القائلون هذا عند الإيجاب ما يحيل في التدكلام من الثانية والمالكية والحنية طائفة مستقلة . ولا ندري أين يستقر نأ تلك الهاوية ... هذا إلى طنات من البصيرين يها بكثرة في هذه الأيام في استعاق يسودها الجهل المطبق ، وبم أهلها فمر مدقع آلوا إليه بعد غنى وانفرا بتر منهم في سنوات خلت ، ومنع هؤلاء البشرون سلطة لا حد لها ، وما ندري كم يصمد الجهل والفقر والموران أمام العلم والسلطان والمسلمون في نومهم يفتنون ...

الحراس ونزلوا إلى الباب فقطعوا أعلانه بسيفهم . وقد فتح المسلمون دمشق بمحنته ويقظته واقتحامه وحده لا شريك له في ذلك ، ولم يبال أن يكون نخر هذا الفتح لأبي عبيدة أو لغيره ، فاعمل خالد لزعامه ولا شهرة ، عمل لله وحده وقد رضى الله عنه وأرضى الناس . وأولئك قوم نزع الله ما في صدورهم من غل إخواناً هذا بدء تاريخنا ، أما النهاية التي ختمناه بها نحن : فمسئلة من التفريط وتضييع الفرص ، وعبادة النفس والاندفاع مع الأهواء . في سبيل ذلك ضحى المترعمون بخير البلاد خيراً بمد خير . لترجع عشرين عاماً إلى الوراء فلتنظر : كم مرة خسرتنا مراحل في تقدم القضية لأن الحلول لم تكن على يدنا ولا باسئنا ؟ وكم مرة غششنا الناس وجهدنا أن نريهم كل حسنة ظفر بها غيرنا سيئة شنعاء ؟ وكل شر لبسناه عليهم سعادة الأبد ؟

فنجحنا — لأمر يريد الله — وقال الناس لصاحب الخير : « أنت شرير لا يصدر عنك خير ، الخير كله في حزب كذا ، وقف عليهم دون خلق الله أجمعين ... »

كان هذا في الشام وكان مشله في كل قطر عربي ، وهو ما نرى أشباهه في جميع مراحلتنا ، حيث كان تناحرنا ، وتكالبنا وبالأعلينا جميعاً . نعم ، هذا ما يلينا به في كل النواحي ، في السياسة والإدارة ، والحكم والدين ... الخ

حصرنا في أنفسنا الإخلاص وخدمة البلاد ، لنتمتع بمرض زائل ، وكتب الله علينا إنهم كل مصيبة نزلت بالأمة من جراء أترتنا وتدجيلنا ، ونحن وأولئك جميعاً ، لا نبلغ بعد ذلك كله ، أن تكون غباراً على قدم أسفر جندي من جنود خالد .

\*\*\*

« طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي ، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله ، من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين ، بها وأنا مترس ، والسماء تهل على ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار ، فعليكم بالجهاد ... »

لقت كذا وكذا زحفاً ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بهم ، أو طمعة برمح ، وهانذا أموت على فراشي

وأما العبرة الثانية التي يجدها الزعماء في سيرة خالد ، فغاية في إنكار النفس وبذل الروح وإماتة الهوى

أسلم خالد وأبلى البلاء الحسن في كل غزواته مع النبي ، ثم في حربه المرتدين ، وتوطيده دعائم الوحدة في الجزيرة ، ثم في سيره إلى العراق ، وانتصاره على الفرس الانتصارات الآخذ بعضها بحجز بعض ؛ فمن قهر جيوش ، إلى ذلك عروش ، إلى فتح حصون ، إلى خطف قواد ، إلى قتل أبطال ... ما أثر لو طلب بين الخلافة لما ساع في القتل أن يختلف عليه فيها اثنان . ثم يبعثه أبو بكر مدداً إلى الشام ثم يكون يوم البرموك ، وقد بلغ الروم في التعبئة غاية كيدهم وفهم : عدد كثير ، وشجاعة فائقة ، واستبسال واستماتة ، حتى لقد سلسل رجال منهم أنفسهم للموت بسلاسل من حديد ، وقيد آخرون أنفسهم لثلاث يفرؤا ، ثم يكون رأى خالد توحيد العمل معلناً في خطبته البليغة المشهورة ، ثم جولات منه صادقات ، فإذا بالعدد الضخم من الروم يهوى إلى الواقوسة كالبناء المتداعي ، ثم يتصل الظفر حتى يكون يوم دمشق ، وقد ولي الخلافة عمر ، ووصل بريده بعهد إلى أبي عبيدة بالقيادة ، ويجعل خالدأ جندياً من الجنود ؛ وهنا العبرة ، وهنا يبدأ الدرس :

في هذا الموقف يختلف خالد وزعماء اليوم ، أما زعماء اليوم — من أمتنا طبياً — فدستورهم الكلمة المشهورة التي نجمت في مصر على ألسنة بعض الناس : « الحماية على يد فلان ، ولا الاستقلال على يد فلان » ، فلو كانوا مكان خالد لانشقوا بجند عظيم وحاربوا أبا عبيدة ومن معه ، ثم ظفر الروم بالفريقين معاً وارتدت الدعوة العربية إلى الحجاز ، ثم لا يُدرى أيكتفون أم ينبتون الجزيرة كلها خلافاً وتناحراً . وأما خالد داء الجيوش وقاهر الروم والفرس معاً ، فقد كان رجلاً فوق هذا : انضوى إلى نراء أبي عبيدة وأخلص النصح والعمل ، ولم يُر أحد أكثر جهداً وانكاشاً وبلاءً منه يومئذ أمام أسوار دمشق . لم يمه عن المدوساعة قط ، ولا فاته من حركاته صغيرة ولا كبيرة ، فهو أبداً مقدم منطلق ، وهو إلى ذلك يقبل وجوه الخيلة ، ويعمل الفكرة كأنه لم يزل هو القائد ، حتى هداه النظر إلى نصب السلام على السور ، فالتمس غفلة الحامية في يوم عيد فصعد عليها وطانفة من خيرة الشجمان فرائبوا

متمثلين والله الحمد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ولا تزال الأرض من المغرب الأقصى إلى طرابلس إلى فلسطين إلى الهند ، تبت الشهداء ، ولا يفتأ أدم الظاهر يجرى أنهاراً في سبيل الحق .. ولكن أحداً من الزعماء لم يخلق في إنكار الذات وإهانة الهوى وقهر النفس ، ولم يذكر التاريخ بمدك قائداً فعل فعملك يوم اليرموك أو يوم دمشق .

سعيد الأرففاني

« دمشق »

## الرجل والغدد الحيوية في الجسم

على الشاب إذا تجاوز الثلاثين من العمر أن يحافظ على الانجمام بين جميع قوى جسمه لأنه إذا اختل فعول عضو واحد ضاعت جميع قوى بقية أعضاء الجسم

إن الغدد هي مصدر الحياة والقوة والنشاط في الجسم ، فإذا عملت بانتظام أوجدت الانجمام والاتزان بين جميع أعضاء الجسم وشر الانسان بقوة ونشاط.

فالواجب ان لاترك هذه الغدد أو نهملها فنفس ولا تعود قادرة على القيام بوظيفتها الحيوية المهمة . وعلى الرجل العائل أن يبنى الغدد ويمهدها بتقويات نافعة مضبوطة من تحضير مماثل مروفة بكرامتها ومشهورة بتراحتها إن الدواء الذي يقول لك أصحابه إنه يطيبك نتيجة سريعة هو دواء كاذب مضر - والدواء الذي يقولون لك إنك ترى النتيجة حالاً بعد استعمال الدواء أو بعد ساعة أو يوم أو يومين إحترس منه لأن له نتيجة مضررة ورد فعل بطال جداً . وتأكد أن الدواء الذي ينفك مؤثراً يضرك ويعتصمك ويعود على صحتك بشر العوائب لأنه سم قاتل .

نحن نقدم لك دواء جديداً اسمه فيدا - جلاند تحضير معامل الجريس الشهيرة في لندن ونحن نقول لك أن هذا الدواء يمد القوة والنشاط إلى غددك ولكن لا بأساً أو يوم بل عليك أن تأخذته لمدة واحد وعشرين يوماً على الأقل وبعد هذه المدة ترى النتيجة لأن فيدا - جلاند هو دواء

وغذاء للغدد والأمصاب ونحن نضمن لك أن هذا الدواء نافع وليس له رد فعل على الإطلاق فيدا - جلاند هو خلاصة الغدد الطازجة - هو غذاء للغدد والأعصاب فن تفتت الغدد بجملة الغدد الطازجة تعود إلى قوتها ونشاطها وتعمل عملها في الجسم فيعود الجسم إلى حالة الشباب والمناة والنشاط .



حفت أنتى كما يموت البعير ، فلا تست أعين الجبناء ...

إذ أنامت فانظروا في سلاحه و فرسي ، فجلوه في سبيل الله « هذه حصرة الفاتح الكبير ، الذي لم يفارق النصر موكبه ساعة قط . هذه كفات الذي ساق السعادة إلى بلدين كبيرين : العراق والشام ، تفيض باللوعة والأسى ، فتثير الإجلال والحزن من أقصى مكائهما في النفوس .

يتلهف أبو سليمان وهو يحتضر - وكل جسده إما مطعون أو مضروب أو مرمى - على أن لم يقض بين الصغين ، أو أمام المحسوم ، أو في الثغور ، جندياً يتخبط بدمه الشاحب ، في سبيل إعلاء كلمة الله ، ظامئاً مجهداً مُشعثاً ، يرسل من فيه شهادة الحق مع آخر نفس يخرج من صدره الحنون :

رحمك الله يا أبا سليمان ! وليس بيدك ما تحب ، فإله وحده يتوفى ويختار ، وما عليك ألا تموت في الساحة بين الصغين ، فما كنت لحظة من اللحاظ لتفتر عن جهاد ، أو تمسك لجهاد ، أو حديث نفسي بجهاد . ما كنت يا ابن الوليد إلا جهاداً متلاحقاً في سبيل الواجب . لقد أرضيت ربك فجعلك سيفه في الأرض ، وأرضيت رسوله فحمد أمرك ورضى عنك ، وأرضيت خليفته حتى قال : « ما على نساء قريش أن ينشئن مثل خالد ! وعمر نفسه حين لامك لم يترك إكبارك ، ولما نزل الشام ورأى معجزاتك في الفتوح لم يملك أن قال : « أمر خالد نفسه ، برحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم مني بالرجال » .

لقد كنت أمة في رجل ، فعليك الرحمة من هؤلاء جميعاً ، من كل من حارب تحت لوائك . وعليك الرحمة من النساء والصبيان والرهبان والفلاحين والمستضعفين الذين لم تكن تفتأ توصي جنودك المنصور برعايتهم ، والكف عنهم ، والرافة بهم . وعليك الرحمة من كل نسمة خلصتها من تسوة الفرس ، أو ظم الرومان .

وليس لنا أن نقول بمد ترقية الله ورسوله وخليفته ، فما رأيت جيوش الرحمة والهداية قائداً أيمن نقيية منك . ولئن تصرمت حياتك التي كانت نفماً كلها ، وعوضت حياة خيراً منها ، فإن خير أعمالك متصل عميم إلى الأبد . ولا يعلم إلا الله كم نفعت سيرتك بمد ممانتك ، وكم حفزت همماً خادمة وعزائم خائرة

ولقد جاء بمدك أناس كثيرون فبدلوا أرواحهم ودماءهم محامين عن الحق ، فخلفوك في إرخاص الروح . ولا تزال نلوا